+ عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس. خلال القداس شرطن سيادته قدس الشماس قسطنطين نصار كاهنًا، وألقى العظة التالية:

«قال أحد القديسين إذا كنتُ سائرًا على طريق القرية ورأيت كاهنًا بسيطًا، قرويًا، يسير في جهةٍ من الطريق وملكًا يسير في الجهة الأخرى، أحيّي الكاهن أولاً ثم الملك، لأنه أُعطي للكاهن أن يتحوّل الخبز والخمر بين يديه إلى جسد الرب ودمه. قال أيضًا إذا كنت سائرًا ورأيت هذا الكاهن البسيط القروي يسير من جهة وملاكًا يسير من جهة أخرى، أحيّي الكاهن أولاً ثم الملاك، لأنه أُعطي للكاهن أن يحلّ الخطايا ويربطها ولم يعطَ هذا الأمر للملائكة.

اليوم نعيِّد للقديس نيقولاوس، ونعيِّد له أسبوعيًا في كل يوم خميس لأن الكنيسة رأت فيه مثال الكاهن. نيقولاوس، هذا القديس الحبيب للرب، أراد أن يُظهر الرب للجميع ويجعله بقرب كل إنسان. أراد أن يبرهن أن الله ليس بعيدًا عن أي كائن. كان مع المسافر ومع المقيم، مع المتألم ومع الفرح، مع الحزين ومع كل إنسان في كل أحوال حياته.

من هو الكاهن؟ الكاهن هو أيقونة يسوع. الكاهن أيقونة نرى فيها يسوع. إن سمعناه نسمع الروح يتكلم فيه، إن رأيناه رأينا مجد الله فيه، وإذا قام بعمل نرى الله متجسدًا يسكن الأرض.

الكهنوت ليس أمرًا سهلاً. كل مسيحي كاهن كما يقول بطرس الرسول: «وأما أنتم فجنسٌ مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة...» (١بط ٢: ٩). لكن من يقيم الخدمة ومن يجعل الناس في جسد المسيح، معمِّدًا إياهم، ومن يزور المرضى ويبلسم جراح المتألمين ويعزّي الحزانى ويفرح مع الفرحين فرحًا مقدسًا هو الكاهن. الكاهن إنسان عشير الصلاة وعشير الكلمة، يتدرَّب يوميًا وبصدق لكي يجعل حياته صلاة وبخوراً زكيًا. الكاهن يتعلم كل يوم كيف يصلّي، أي كيف يتحدث مع الله. الكاهن طعامه كلام الله، ومن يتغذى بكلام الله لا يشبع لأن الإنسان لا يستطيع أن يستوعب الله، لهذا السبب الكاهن كالكنيسة، مجاهدٌ طالما هو على الأرض، والكنيسة المجاهدة هي أنتم الذين تجاهدون لتتقدسوا ولتصبحوا كنيسة ظافرة في السماء. سُئلتْ راهبة بقيت قابعة في قلايتها سنوات طويلة ماذا فعلت طيلة هذه السنوات التي كنتِ فيها جالسة في غرفتكِ؟ أجابت: لم أكن جالسة بل سائرة إلى الرب. المؤمن هو الإنسان الذي يتقدّم في كل لحظة خطوة باتجاه الرب. والصلاة ركن أساسي في حياة المؤمن عامة والكاهن بشكل خاص.

أن يبقى برفقة القديسين، برفقة من يحب. والكاهن لا يطلب ثمرًا إذا فعل أمرًا أو صلّى من أجل أي إنسان. الكاهن كالفلاح في حقله، يعمل في حقل الرب، يزرع ويسقي، أما من ينمّي فهم الله: «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان يُنمّي. إذاً ليس الغارسُ شيئًا ولا الساقي، بل الله الذي يُنمّي... إننا نحن عاملان مع الله ,انتم فلاحة الله» (١ كو ٣: ٦-٩). الكاهن لا يملّ ولا يتعب، وإذا تعب يفتخر لأنه حامل الصليب، الكاهن الحقيقي لا يعرف الصليب إذا لم يتعب، والمسيحي لا يفتخر إلا بصليب الرب «وأما من جهتي، فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غلا ٦: ١٤). الكاهن الذي لا يتعب ويفتش عن راحته سَيُدان بسبب المسؤولية الكبرى أو النعمة الكبرى التي حظي بها ولم يتمّمها.

والكاهن الحقيقي صبور ووديع ويعلم المتسائلين والمشككين الصبر قائلاً لهم تجلّدوا. الكاهن الحقيقي المختبر كلمة الله وعزاءه يعزّي الآخرين ويقول لكل منهم «إنتظر الرب ليتشدَّد وليتشجع قلبك، وإنتظر الرب» (مز ٢٧: ١٤) وما تختبره أنعامٌ من لطفه ومحبته لكي تعرف نفسك. الكاهن يصبر ولا يغضب، وإذا غضب يغضب على الخطيئة فقط ولا يبقى غضبه إلى ما بعد غروب الشمس. «إغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف ٤: ٢٦). الغضب لا يلازم الكاهن وإذا لازمه فهذا من الشرير. الكاهن الحقيقي يصبر لذلك إن بشركم بالمحبة صدّقوه لأن الصابرين محبون. لقد رأينا هذا الصبر العظيم في القديسين والشهداء الذين تألموا وجُلدوا ومُزقت أجسادهم وقُطعت أطرافهم. تألموا ألمًا كبيرًا وما أنكروا الرب بل صبروا وكانوا يمجدون الله في كل حين.

ميزة الكاهن الثالثة هي العمل الصالح. عندما يقف الكهنة في بدء الصلاة ويأخذون البركة من رئيس الكهنة يقولون «بارك أيها السيّد» فيجيبهم «تبارك الله إلهنا كل حين»لأن الله هو المبارك ومن له البركة ويعطيها. يقولون «صلِّ من أجلنا» فيجيب «ليسهِّل الرب خطاكم في كل عمل صالح». ثم يقولون «اذكرنا أيها السيّد» فيجيبهم «كهنوتكم ليذكر الرب إلهنا في ملكوته السماوي». الكهنوت إذًا هو الصورة الحقيقية لكل عمل صالح. إذا كنت واقفًا أمام الرب في كل حين فأعمالك صالحة. إذا كنت خادمًا للرب في كل حين ترى يسوع في كل إنسان أمامك لأنه قال: «لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبًا فآويتموني، عريانًا فكسوتموني، مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إليَّ» (متى ٢٥: ٣٥-٣٦). لقد علّمنا ان الفقير والمسكين والمريض والمتألم الذي تصادفه هو يسوع، وإذا أحببته وخدمته فأنت تحب المسيح وتخدمه. لذلك يقول رئيس الكهنة للكهنة «ليسهِّل الرب خطاكم في كل عملٍ صالحٍ» لأن من يرى الله أمامه في كل حين تكون أعماله صالحة. أنتم تعرفون ان على البطريرك أن يمر بالشموسية والكهنوت قبل أن يصبح بطريركًا. والكنيسة لا تستطيع أن

ترسم إنساناً بطريركًا، حتى ولو كانت بحاجة إليه، قبل أن يمر بمراحل الخدمة، وقد حصل هذا الأمر في تاريخ الكنيسة مع القديس فوتيوس الذي مر خلال أيام بالشموسية والكهنوت ثم الأسقفية. هذا لتقول لنا الكنيسة بأن الشموسية، أي الخدمة، هي القاعدة الأساسية لكل إنسان مسيحي وخاص للإكليروس وإلا كان باستطاعتنا أن نرسم مطرانًا دون أن يكون شماسًا أولاً أو كاهنًا. لكن الخدمة أساسية: «ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخْدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (متى ٢٠: ٢٨). في الأناجيل الإزائية، قال يسوع لتلاميذه: «خذوا كلوا هذا هو جسدي... اشربوا منها كلكم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد» وأضاف: «اصنعوا هذا لذكري» أراد أن يقول لهم تذكروا اني معكم حاضر ولو غير منظور في إنجيل يوحنا، قبل أن يقدّم يسوع ذبيحته الأساسية، أي قبل آلامه، غسل أرجل التلاميذ وقال لهم «كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا. الحق الحق أقول لكم انه ليس عبد أعظم من سيّده ولا رسول أعظم من مرسله».

الكاهن إذًا شماس في الدرجة الأولى أي خادم، ومن يصبو إلى الكهنوت أو الأسقفية على انها جاه يشبه من يشتري الكهنوت بالمال. الكهنوت خدمة. عندما يُرسم إنسانٌ كاهنًا يعرف انه سوف يتعب كثيرًا وسوف يحترق كالبخور من أجل الآخرين وإلا شكك المؤمنيم. «من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخيرٌ له أن يُعلق في عنقه حجر الرحى ويُغرق في لجة البحر» (متى ١٨: ٦).

لا تنسوا، الصلاة والصبر والعمل الصالح ــ حرف الصاد ثلاثًا ــ هي ركائز حياة المؤمن عامة والكاهن بشكل خاص. إنها أمور صعبة لكن من كان مع الرب لا يهاب المصاعب. هذا هو امتحان الإيمان.

نشكر الله ان كهنة هذه الأبرشية يسعون إلى المحبة. إنهم بشر كسائر البشر لكنهم في جهاد مستمر. قال يوحنا المعمدان عن نفسه انه لم يكن هو النور بل جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته (١: ٧). فإذا صفق لكم الناس فلا تظنوا التصفيق لكم. انه لمن تمثلون. يقول أحد المتأمّلين بالكتاب المقدس أن يسوع دخل أورشليم راكبًا على جحش ابن أتان واستقبلته الجموع بالهتافات والأناشيد فهل كانت هذه للجحش أم ليسوع؟ لا يظننّ أحدٌ ان التصفيق له إذا تكلم جيدًا أو عمل عملاً صالحًا لأن المصفقين يمجّدون الله. وإذا كان التصفيق أو الهتاف للإنسان لا لله فالإنسان هذا من عبدة الأوثان والوثن هو نفسه.

نحن الكهنة بشر كسائر البشر لكن ما يميّزنا أننا وضعنا يدنا على المحراث وسنفلح الأرض ولن نتراجع. سنجاهد «لأن ليس أحدٌ يضع يدع على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو ٩: ٦٢).

في هذه المناسبة أود أن أذكر أخًا لنا أمضى في الخدمة خمسًا وعشرين سنة هو المتقدم في الكهنة جراسيموس الذي يتحمّل جهاده مع نفسه وجهاده أن يحافظ على كلمة الله وعلى المؤمنين. إنسانٌ صبور، غفور، خادمٌ للرب ولرعيته. وأريد أن أشكر زوجته ميراي لأنها تشاركه رسالته. إننا نعتبر بيت الكاهن كنيسة والخورية تتحمّل كثيرًا معه لأن الكاهن يكون غائبًا في عمله وتأتي أتعاب الناس معه إلى المنزل ولكن هذا هو صليب الكاهن. واليوم أيضًا شماس وزوجته سيصبحان خوري وخورية هما الشماس قسطنطين وكولين. الشماس قسطنطين أتى من عائلة عاشت جمال الكنيسة في بيتها. والده كان كاهنًا ورعاً ربّى عائلته على التقوى وخوف الله وحب الكنيسة وخدمتها. نصلّي اليوم من أجل أن يتقدّم في القداسة، وأن يجعل نفسه أيقونة ناصعة ليسوع حتى إذا رآه أحدٌ رأى فيه يسوع. كولين أعطاها الله نِعَمًا عديدة أولها الزوجة التي تشارك زوجها الحياة بجميع وجوهها، كما أعطاها نِعَمًا تخدم بها الكنيسة إما في مدارسنا أو في نشاطاتنا للأطفال. هي ترسم جيدًا وتعلّم الصغار الفن. صلاتنا أن يكون كلٌّ للآخر عوناً وسندًا وأن يصبح بيتهما بيت قداسة فيه يحتمل الواحد الآخر في المحبة والطاعة والتواضع.

ولا ننسى أن نعايد الشماس نيقولاوس وزوجته نيكول وكل من اتخذ القديس نيقولاوس شفيعًا له.

بعد قليل سنرسم الشماس قسطنطين كاهنًا فليصلِّ كلُّ واحد منكم ليس فقط للأب قسطنطين بل لكل من كرَّس نفسه للرب ولجميع أعضاء هذه العائلة المقدسة التي هي الكنيسة لأن كنيستنا، إن عبّرت عما فيها، تخلص العالم. إذا استطعنا أن نعبِّر عن الخلاص الذي أُعطي لنا والنِعَمْ التي مُنحت لنا أؤكد لكم أننا ككنيسة نعطي الفرح والحرية والمحبة للعالم. دعائي أن يحفظ الرب الإله هذه الرعية، هذه الأبرشية وهذه الكنيسة ويحفظ خدّامها وأبناءها وبناتها حتى نستمر فرحين كما فرحنا بالأمس واليوم وكما نفرح في كل صلاة وكل عيد ممجِّدين الله لخبراته العظيمة آمين».